

126253 - من الذي نقض صلح الحديبية؟!

السؤال

سؤالي عن صلح الحديبية ، من الذي نقض العهد في هذا الصلح ؟ لأنه دار بيني وبين أحد النصارى نقاش حول ذلك ، فقال إن الذي نقض العهد هم المسلمون ، حيث يقول إن المسلمين كانوا على تعاهد مع القبائل الوثنية آنذاك ، وأن قريشا أتت لحرب بعض هؤلاء القبائل فقام المسلمون بمساعدة هؤلاء القبائل ، فخرقوا بذلك المعاهدة التي كانت بينهم وبين قريش ، فهل هذا صحيح ؟

الإجابة المفصلة

ملخص ما حدث : أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج في شهر ذي القعدة من السنة السادسة من الهجرة ومعه ألف وأربعمائة ، متوجهاً إلى مكة يريد العمرة ، فلما كان بذي الحليفة . ميقات أهل المدينة . قَدَّ الهَدْيَ وأشعره ، وأحرم بالعمرة ، وبعث عيئاً له من خُزاعة يخبره عن قريش ، فلما كان بعُسفان أتاه عينه وأخبره أن قريشاً قد جمعوا له جموعاً ، وأنهم مقاتلوه وصادوه عن البيت .

وسار النبي صلى الله عليه وسلم حتى إذا كان بالثنية التي يهبط عليهم منها بركت راحلته ، فقال الناس : خلأت القصواء ، خلأت القصواء [أي : حرنت وأبت السير] ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : (ما خلأت القصواء ، وما ذاك لها بخلق ، ولكن حبسها حابس الفيل) ثم قال : (والذي نفسي بيده ، لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمان الله إلا عطيتهم إياها) ثم زجرها فوثبت به ، فعدل بها حتى نزل بأقصى الحديبية على حوض قليل الماء ، فلم يلبث الناس أن نزحوه ، فشكوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم العطش ، فتمضمض في ماء ومج فيه ، وألقى فيه سهماً من كنانته ، فلم يزل يجيش لهم بالرّي حتى صدروا عنه .

وفزعت قريش لنزوله عليهم ، فأحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبعث إليهم رجلاً من أصحابه ، فدعا عثمان بن عفان ، فأرسله إلى قريش ، وقال : (أخبرهم أنا لم نأت لقتال ، وإنما جئنا عقاراً ، وادعهم إلى الإسلام) ، وأمره أن يأتي رجالاً بمكة مؤمنين ونساء مؤمنات ، فيدخل عليهم ويبشرهم بالفتح ، ويخبرهم أن الله عز وجل مظهر دينه بمكة حتى لا يستخفى فيها بالإيمان ، فانطلق عثمان ، فمر على قريش ، فبلغ الرسالة ، وقد أجاره أحد بني عمه ، وحمله على فرس حتى دخل مكة .

ثم

إنه بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن عثمان قد قتل ، فدعا إلى البيعة على أن لا يفروا ، وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيد نفسه وقال : (هذه عن عثمان) ، ولما تمت البيعة رجع عثمان إلى المسلمين .

وسارت الرسل بين رسول الله صلى الله عليه وسلم والمشركين لأجل الصلح ، حتى جاء سهيل بن عمرو ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قد سهل لكم من أمركم .

ثم

عرض سهيل الشروط التي تريدها قريش ، وهي ::

وضع الحرب بين المسلمين وقريش عشر سنوات

من جاء المسلمين من قريش يردونه، ومن جاء قريشاً من المسلمين لا يلزمون برده

أن يرجع النبي صلى الله عليه وسلم من غير عمرة هذا العام ، ثم يأتي العام المقبل فيدخلها بأصحابه بعد أن تخرج منها قريش ، فيقيم بها ثلاثة أيام ليس مع أصحابه من السلاح إلا السيف في القراب والقوس .

من أراد أن يدخل في عهد محمد من غير قريش دخل فيه ، ومن أراد أن يدخل في عهد قريش دخل فيه .

ودخلت قبيلة خزاعة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودخل بنو بكر في عهد قريش .

وقد

كانت الحروب والعداوات بين خزاعة - التي دخلت في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبين بني بكر - التي دخلت في عهد قريش - منذ غابر الأزمان ، فأضحت كل واحدة في

أمن من الأخرى ، ولكن حصل غدر من بني بكر ، فخرج نوفل بن معاوية في جماعة معه في شهر شعبان للسنة الثامنة من الهجرة فأغاروا على خزاعة ليلاً ، وهم على ماء يقال له الوتير ، فأصابوا منهم رجالاً ، وتناوشوا واقتتلوا ، وأعانت قريش بني بكر بالسلاح ، بل وقاتل رجال منهم مع بني بكر مستترين بظلمة الليل ، حتى حازوا خزاعة إلى الحرم ، فقالت بنو بكر : يا نوفل إنا قد دخلنا الحرم ، إلهك ! إلهك ! فقال : لا إله اليوم ، يا بني بكر أصيبوا تأركم ، فلعمري إنكم لتسرقون في الحرم ، أفلا تصيبون تأركم فيه ؟!

وانطلق عمرو بن سالم الخزاعي إلى رسول الله في المدينة مستغيثاً ومستنجداً فقال له عليه السلام : (نصرت يا عمرو بن سالم) .

وسرعان ما أحست قريش بخطئها وغدرها ، فخافت من عواقبه الوخيمة ، فبعثت قائدها أبا سفيان ليجدد الصلح ، لكنه لم يفلح ، فعاد أدراجه إلى مكة .

ثم

تجهز النبي صلى الله عليه وسلم وأمر الصحابة بالجهاز ، وأعلمهم أنه سائر إلى مكة ، ثم تم بعد ذلك الفتح ، ودخل الناس في دين الله أفواجا .

والشاهد من هذا كله

: أن قريشا لما أعانت بني بكر بالسلاح ، وقاتلت معهم خزاعة التي كانت في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان ذلك نقضا للصلح الذي أبرمته مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحديبية . وقد علمت قريش ذلك ، ومن ثمّ جاء أبو سفيان ليجدد الصلح مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان من واجب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينصر المتحالفين معه من خزاعة ، كما أن قريشا نصرت ، بل وحاربت مع حلفائها من بني بكر .

فهم

الغادرون الناقضون العهد ، وأما رسول الله صلى الله عليه وسلم فأبعد خلق الله عن تلك النقيصة ، وهذه سيرته ، وهذه سنته حاضرة بين أيدينا لمن أراد أن يعرف ذلك عنه .

راجع :

تفسير الطبري (250-22/239)

—
تفسير ابن كثير (360-7/344)

—
صحيح البخاري (2734)

—
سنن أبي داود (2765)

—
مسند الإمام أحمد (18449)

—
فتح الباري (350-5/334)

—
البداية والنهاية (325-4/317)

—
سيرة ابن هشام (397-2/389)

—
عيون الأثر (190-2/181)

والله أعلم .